أخلاق الصائمين وسلوكهم

٢ رمضان ١٤٣٦ هـ ، ١٩ يونيو ٢٠١٥م

أولا : العناصر

١- الصيام تقويم للأخلاق والسلوك.

٢- رمضان واجتناب المعاصي.

٣- من أخلاق الصائمين :

أ- التقوى.

ب- الصبر.

ت- الحلم.

٤- إتقان العمل .

ثانيا: الأدلة:

الأدلة من القرآن

١-قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٢-وقال تعالى : {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُو} [البقرة: ١٨٧]

٣-وقال تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

٤-وقال تعالى : { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧].

٥-وقال تعالى : {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

الأدلة من السنة:

١- عن أبى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قال : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَدْرُونَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " الْأَجْوَفَانِ: الْفَرْجُ وَالْفَمُ، وَأَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قال : تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ "(الأدب المفرد) بإسناد حسن .

٢- وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ومعاذ بن جبل (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ " رواه الإمام أحمد والترمذي وقال حديث حسن.

٣- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :« إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ ».رواه الحاكم في المستدرك وقال على شرطهما ، وأحمد ، والبخاري في الأدب المفرد.

٤- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضى الله عنه) قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)« قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّى امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِىَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ » متفق عليه.

٥- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ " رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، وأحمد في المسند ، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

٦- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ " رواه البخاري .

٧- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِن صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ " . سنن ابن ماجه .

ثالثا: الموضوع

شرعَ الله العبادات من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍّ وغيرها، لمقاصِد عُظمى وغايات كُبرى، ترجِع في أصلِها إلى تهذيب النفوس، وتزكية القلوب، وتطهير الجوارِح، والسير بها إلى أرفع القِيَم وأزكَى الشِّيَم.

ومن تلك العبادات: صيام شهر رمضان بما تضمَّنَه من عباداتٍ وقُرُباتٍ وأعمال صالحة ؛ فالصيام مدرسةٌ يجبُ أن تجعلَ المسلم في أعلى ما يكون من الأخلاق الفُضلَى والمُثُل العُليا، يقول ربُّنا – جل وعلا –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وإن من حقيقة التقوى: التمثُّل بالأخلاق الكريمة والصفات النبيلة فعلاً وقولاً وسُلوكًا ومنهَجًا، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : « اتَّقِ الله حيثُما كنت، وأتبِع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسن ».

وعن أبى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قال : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « تَدْرُونَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ » قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " الْأَجْوَفَانِ: الْفَرْجُ وَالْفَمُ، وَأَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قال : تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ " ، ومعنى الأكثرية المذكورة في الحديث أي: أكثر أسباب السعادة الأبدية وأكثر أسباب الشقاوة السرمدية ، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق ، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين وربه ، وحسن الخلق يصلح ما بين العبد وبين الخلق ، كما أن تقوى الله توجب محبة الله ، وحسن الخلق يوجب محبة الخلق ، وهذا يشمل سائر أبواب الدين في الأموال والفروج ومعاملة الخلق والولايات والابتداع والاتباع وغير ذلك .

ولما كان الاسلام ديناً يعتني بالأخلاق اعتناء بالغا كما يتجلى ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ، جعل شهر رمضان فرصة لتربية النفس على الأخلاق الفاضلة وتجنيبها الأخلاق الفاسدة ، ويتجلى ذلك في حقيقة الصوم نفسه وهو أن يصوم المرء عن كل مالا يليق وأن تحكمه أخلاق التقوى وهو ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : " وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ " البخاري .

فالإسلام يُريد من المسلم أن يتحلَّى بالأخلاق الحسنة، وأن يتَّصِفَ بالمُعاملات الكريمة، قال – صلى الله عليه وسلم –: «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم»؛ رواه الترمذي.

ويقول – صلى الله عليه وسلم –: «إن المؤمنَ ليُدرِك بحُسن خُلُقه درجةَ الصائم القائم»؛ رواه أبو داود بسندٍ صحيحٍ.

فعلى المسلمين أن يستلهِموا من العبادات والقربات والأعمال الصالحة وعلى رأسها الصيام كل جميلٍ رفيعٍ من الأخلاق والمُثُل والصفات، وأن يستمِدُّوا منها كل ذوقٍ سليمٍ، وكل فعلٍ جميلٍ، وقولٍ نبيلٍ، ليملأ حياتَهم حينئذٍ الحبُّ بشتَّى أشكالِه، وتسُودَها المودَّةُ بمُختلف صُورها، وتغمُرها التعامُلات الراقِية، والمبادِئُ الحياتية السامية. فذلك مما أوجبَه الإسلام، وافترضَه القرآن، يقول – جل وعلا –: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رجلٌ: يا رسول الله! إن فلانةَ يُذكَرُ من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غيرَ أنها تُؤذِي جيرانَها بلِسانها. فقال – صلى الله عليه وسلم –: «هي في النار». فقال: يا رسول الله ! إن فلانةَ يُذكَر من قلَّة صيامها وصدقتها وصلاتها وأنها تصدَّقُ بالأثوار من الأقِط ولا تُؤذِي جيرانَها بلِسانها. قال: «هي في الجنة»؛ أخرجه أحمد، والبخاري في "الأدب المفرد".

ومن هذا المُنطلق حذَّر النبي – صلى الله عليه وسلم – الصائمين من العُدول عن هذه المقاصِد الكريمة للعبادات الجليلة، فقال: «إذا كان يومُ صوم أحدِكم فلا يرفُث ولا يصخَب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتلَه فليقُل: إني امرؤ صائِمٌ» وفي رواية " إني صائم إني صائم ".

نعم إن الفُحش واللعان والسباب ليس من أخلاق أهل الفضل والعبادة والإحسان، وليس من سجِيَّة عباد الرحمن، قال (صلى الله عليه وسلم): «من لم يدَع قولَ الزُّور والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدَعَ طعامَه وشرابَه».

ومن الغاية التي من أجلها شرع الصيام تقوى الله عز وجل فجعل الله سبحانه وتعالى الحكمة من الصوم تحقيق التقوى قال تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة : ١٨٣)

والمتأمل في آيات الصيام في سورة البقرة يجدها ابتدأت بالأمر بالتقوى : (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة : ١٨٣) ، وانتهت بالأمر بالتقوى: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٧]

فالصائم حين يقضي نهار رمضان ممتنعاً عما أحله الله له من الطعام والشراب والجماع هان عليه وسهل أن يمتنع عما حرم الله تعالى ، فهو يشعر دائماً برقابة الله تعالى له ، يحرص على أن يكون صومه كما أراده الله تعالى (إيماناً واحتساباً) فلا يريد أن ينقص إيمانه بمعصية

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهْوَ مُؤْمِنٌ) متفق عليه.

والصوم لا يؤتي ثماره إلا حين يكون جنة لصاحبه – أي وقاية ودرع – من الوقوع في المعاصي كما جاء في الحديث القدسي عن رب العالمين : (وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ)

فإذا حقق الصائم هذه الحكمة ، واستوفى هذه العلة ، وتحلى بهذه الحلية (التقوى) استحق ما أعده الله تعالى لأهلها من الفرح في الدنيا والآخرة ، فرح في الدنيا على تحقيقها ، وفرح في الآخرة على ثوابها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) وأما إذا لم يحقق الصائم هذه الحكمة فقد أتعب نفسه في الدنيا بالحرمان دون جزاء ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ) ، وليست التقوى مع الصيام في شهر رمضان فحسب ، بل تقوى الله تعالى في الصيام وفي غير الصيام ، ولأن التقوى خير زاد قال تعالى : (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) ، لا يقبل الله عملاً إلا من المتقين قال تعالى : (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) ، والله تعالى : (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) أهل أن يتقى ، وأهل أن يغفر لمن اتقاه ، والتقوى جماع كل خلق حسن وداعية إليه ، والصيام كما أمر الله على منهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تتحقق به التقوى .

ومن هنا نهى رسول الله الصائم عن أخلاق مذمومة أثناء الصيام لأنها تتنافى مع حقيقة الصيام وهي : الرفث (أي الكلام الفاحش) والجهل والصخب (أي الصياح والشتم) بمعنى أن الصائم يجب أن يكون ذا أخلاق عالية وهي أخلاق التقوى من كظم الغيظ وضبط اللسان والعفو عن الناس والإحسان إليهم كما ذكر سبحانه من صفات المتقين الذين أعد لهم الجنة : { أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤]، فذكر من صفات المتقين صفات أخلاقية (كظم الغيظ والعفو عن الناس والإحسان إليهم) .

فإذا كان الصيام ينهى صاحبه عن مجرد الصياح فإنه يريد من الصائم أن يرى صافيا ساكنا تعلوه مهابة الطاعة وتحكمه أخلاق التقوى.

كذلك من الأخلاق التي يكتسبها المسلم من الصيام خلق الصبر لأنه شهر الصبر ومدرسته وتجتمع فيه أنواع الصبر الثلاثة : الصبر على أداء الطاعات من نوافل وقيام ليل وغيرها ، والصبر عن المحرمات من كف للجوارح عن اقتراف الذنوب ، والصبر على الحرمان من جوع وعطش وشهوة ، فمن صبر شهراً كاملاً على ما سبق فلابد من أن يكون قد تدرب تدريباً مكثفاً على هذا الخلق العظيم ، ومن هنا وصف شهر رمضان بكونه شهر الصبر كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر) .

ولقد عظم الله خلق الصبر عندما عظم أجره ، وجعله بغير حساب قال الله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].

وليعلم كل من أصابه ابتلاء ، أو عنت ، أو مشقة أن ذلك من قدر الله تعالى قبل أن يخلق الخلق ، لا راد ولا صارف له إلا هو قال تعالى : { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } [الحديد: ٢٢، ٢٣].

واعلم أيها الصابر أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، واعلم أن لك في كل بلاء أجرًا حتى في الشوكة تشاكها ، فعَنْ السيدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عنها قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : (مَا مِنْ شَىْءٍ يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ حَتَّى الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً أَوْ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ) مشكل الآثار للطحاوي.

ففي هذا الخلق شد للعزائم ، وشحذ للهمم ، ورفع للمعنويات ، وطرد لليأس والإحباط ، ودافع للعمل والإنتاج فهو من الأخلاقيات الإيجابية على عكس ما يظن الناس به .

والصبر ضرورة حياتية ، فحين نتأمل في حياتنا لا نجد مجالاً من مجالاتها إلا وهو محتاج إلى الصبر ، فالعلم لا يتأتى إلا بالصبر ، وكسب الرزق لا يتأتى إلا بالصبر ، وتربية الأولاد لا تتأتى إلا بالصبر ، حتى معاملة الناس اليومية لا تتأتى إلا بالصبر قال تعالى : (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) (الفرقان : ٢٠)

كذلك لا يتحقق النصر إلا بالصبر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم موصياً ومعلماً ابن عباس رضي الله عنهما والأمة من بعده : (وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ) رواه أحمد ، فلا تستقيم الحياة إلا بالصبر الجميل .

إن الصائم الحق يتأثر سلوكه بالصيام في تعامله مع من حوله فالصيام يمَرِّن على ضبط النفس ، والسيطرة عليها ، والقوة على الإمساك بزمامها حتى يتمكن من التحكم فيها ويقودها إلى ما فيه خيرها وسعادتها، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فإذا أطلق المرء لنفسه عنانها أوقعته في المهالك، وإذا ملك أمرها وسيطر عليها تمكن من قيادتها إلى أعلى المراتب وأسنى المطالب.

وهذا لا يتحقق إلا لمن صام صوماً شرعيا مستشعراً عبادة ربه بذلك، منتظراً الثواب منه سبحانه ، وقد صامت بطنه وفرجه ولسانه وجميع جوارحه، وإلا فهو معرض لوساوس الشيطان ونزغاته، فيرتكب أخطاء قد تفسد أو تضيع صومه فضلاً عن أنه لا يستفيد منه ولا تزكو أخلاقه بصومه، وهذا لمن اتخذ الصيام مجرد عادة يصوم إذا صام الناس ويفطر إذا أفطروا، ولم يدخل مدرسة الصيام دخولاً إيمانياً، أو هو يفسر الصوم بأنه مجرد إمساك عن المفطرات، فيطلق لسانه وبصره فيما حرم الله ومنع نفسه ما كان أصله مباحاً له من المطعم والمشرب والمنكح مدعياً أنه صائم، فهذا لا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه وقد عاش بعيداً عن الصيام الذي يتعلم منه أموراً كثيرة وعظيمة تنفعه في دينه ودنياه.

قال عليه –الصلاة والسلام–: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)

فإذا كان من خلق المسلم أنه ليس بالسّبّاب ، ولا بالطعان ، ولا باللّعّان ، ولا بالفاحِشِ البذيء في عموم أحواله مع الآخرين كما في الحديث، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن المؤمن ليس باللعان ولا الطعان ولا الفاحش ولا البذيء) فما بالنا بالمسلم الصائم القائم لابد وأن يكون أملك لزمام نفسه ، ولسانه ، وأعصابه حتى لو استثير لا يثار .

فلا ينطق إلا بخير ، ولا يتصرف إلا بحكمة ، ولا يرد إلا بتؤدة وروية ، يقطع أسباب الخلاف ، لا يدع للغل ولا للحقد مجالاً ، يترك أهل الغل والحقد والغيظ بِغِلِّهِم وحقدهم وغيظهم ، لا يرد إساءتهم بالإساءة ، ولا انفعالهم بانفعال ، يعرض دائماً عن الجاهلين .

فإن بدأه أحدهم بسباب أو شتم لم يكن رده إلا بالحلم والعفو والصفح (إني امرؤ صائم) يدفع دائماً بالتي هي أحسن قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } [فصلت: ٣٤] ، وقال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ } [المؤمنون: ٩٦]، يتحلى بأخلاق عباد

الرحمن { الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } [الفرقان: ٦٣]

ولكن بعض الناس ممن لا يدركون حقيقة الصيام وأبعاده والذي حصروه في الجوع والعطش نرى أخلاقهم تفسد في رمضان أكثر من غيره بحجة أنهم صائمون فتراهم يصيحون بأعلى الأصوات ويسبون ويشتمون ويتكلمون بالكلام الفاحش ويغضبون لأقل الأسباب بل ويثورون فتجدهم يتثقلون رمضان أو يشتكون من جوه وطبيعته وكأنهم يلقون باللوم عليه.

إن هؤلاء لم يفقهوا حقيقة رمضان ولم ولن ينتفعوا به أبدا ما داموا على هذه الحال .

إن الصوم يربي في الصائم قوة الإرادة النابعة من إيمانه بالله تعالى، وإرادة امتثال أمره بالصوم؛ ابتغاء مرضاة الله؛ وطمعًا في نيل ثوابه الأخروي.

والصائم الذي أرغم نفسه وحملها على أن تجتنب ما هو مباحٌ لها في الأصل، وسيطر على شهوات جسده، لقادرٌ بإذن الله على أن يجتنب ما حُرِّمَ عليه من باب أولى في جميع أوقات العمر وهذه هي ثمرة الصيام.

فرمضان فرصة لنتزود فيه من اكتساب الإرادة القوية ونتربى فيه على الإخلاص وعلى الصبر وعلى الطاعات وعلى الأخلاق الفاضلة وعلى التوبة النصوح وعلى اتقاء المعاصي وهذه مقاصد أساسية من مقاصد الصيام.

كما أنه شهر عبادة وعمل لا بطالة وكسل ، لأن الإسلام لا يقر أن نكون عالة على غيرنا ، ولا أن نركن إلى البطالة والكسل لا في رمضان ولا في غيره ، بل علينا أن نجتهد في العبادة وفي العمل والإنتاج ، فكلاهما تقرب إلى الله (عز وجل) فالعمل للدين عبادة والعمل للوطن عبادة ، والأعمال بالنيات فالصائم الذي يراقب ربه في صلاته وصيامه وقيامه وركوعه وسجوده يجب أن يراقبه تمام المراقبة في عمله وإنتاجه وسائر تصرفاته .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين